

بين حدّي التسوّق والتّخلّق في منجز المدرسة القيمية "القضايا، الموارد، والمقاربات"

Between the Two Sides of shopping and Moral Development
in the Achievements of the Values' School

"Issues, Resources and Approaches"

✻ لخضر بولطيف (*)

جامعة المسيلة – الجزائر

البريد الإلكتروني: lakhdar.boultif@univ-msila.dz

تاريخ الإرسال: 2025/04/08 تاريخ القبول: 2025 /06 /07

الملخص:

تتطلع هذه الورقة العلمية، وفي سياق التعريف بمشروع المدرسة القيمية لعموم المشتغلين بالبحث التاريخي؛ منجزا، وموردا، ومنهجيا، لإمادة القناع عن المنجز المحقق -على تواضعه- في حقلي: الاقتصاد والمعيش، والتربية والسلوك، الواقعين في صلب ميدان التأليف المعرفي الاستكشافي، ضمن مقارنة تجعل منهما قطبين متقابلين، يتنازعان سلوك الإنسان بين حدي الدنيا والآخرة، أو المادة والروح، أو ما أثرنا أن نطلق عليه التسوّق والتّخلّق.

(*) المؤلف المرسل

الكلمات المفتاحية: المدرسة القيمية؛ الاقتصاد؛ الأسواق؛ التربية؛ الأخلاق.

Abstract:

This scientific paper aims, in the context of introducing the project of the values' school to all of those engaged in historical research, as an achievement, a resource and a method, to reveal the obtained achievement -modest as it may be- in the two fields of economy & livelihood, and education & behavior, which lie at the core of the epistemological and exploratory writing. This approach considers them two opposite poles, competing for human behavior between the two extremes of this world and the hereafter, or matter and spirit, or what we prefer to call shopping and moral development.

Keywords: Values' School; Economics; Markets; Education; Ethics.

- مقدمة:

جعل ابن خلدون كتابه "العمران"¹ في ستة أبواب، ونحن إذا ما أنعمنا النظر في هذه الأبواب ومشتملاتها، فإنها راجعة إلى خمسة حقول لا تعدوها (السياسة والتدبير، الاقتصاد والمعاش، الاجتماع والعمران، التربية والسلوك، الفكر والعرفان)، وهو ما يقابل في مشروع المدرسة القيمية² ميدان التأليف في المجال المعرفي، ضمن السياق الأول؛ وهو السياق الاستكشافي.

راكمت المدرسة في رصيدها في ميدان التأليف المعرفي الاستكشافي -إلى غاية اليوم- ما يناهز المائة وخمسين (150) عملا أكاديميا، يستأثر حقلا: السياسة والتدبير، والفكر والعرفان، بنصيب الأسد منها، إذ يحوزان معا -بالسوية تقريبا- على ثلثي هذه الأعمال، فيما تتقاسم الحقول الثلاثة الأخرى بقية المنجز، مع شفوف ظاهر لحقل الاجتماع والعمران. تتطلع هذه الورقة العلمية، وفي سياق التعريف بمشروع المدرسة القيمية لعموم المشتغلين بالبحث التاريخي؛ منجزا، وموردا، ومنهجيا،

¹ - مما هو خافٍ عن عدد من الباحثين في الشأن الخلدوني، أن كتابه المنشور والمشتهر بعنوان: "المقدمة"، إنما هو القسم الأول من بين ثلاثة أقسام يتألف منها كتابه الجامع: "ترجمان العبر"، وقد وسم مؤلفه قسمه الأول بكتاب "العمران"، فهو يُقاوم ثلث كتاب العبر، وليس مقدمة له، كما قد يخال البعض، ولعله قد حان الوقت لتصويب هذا المرتكب الذي سواء كان مقصودا أو بحسن نية، فإنه مجحف بالابتكار الخلدوني.

² - المدرسة القيمية هي إطار تصوري جديد لممارسة البحث التاريخي، بما يسمح بالوقوف على القيم المرجعية المؤطرة لفكر الإنسان وسلوكه؛ سواء كانت معلنة أو مضمرة. تتوزع أعمال المدرسة على ميدانين: التحقيق والتأليف، هذا الأخير ينتظم مجالين: منهجي ومعرفي. المعرفي يشتغل على سياقين: استكشافي واستشكالي، كل سياق يظم خمسة من الحقول المعرفية: -الاستكشافي (السياسة والتدبير، الاقتصاد والمعاش، الاجتماع والعمران، التربية والسلوك، الفكر والعرفان).

-الاستشكالي (المنظومات، المدونات، الخطابات، العتبات، التمثلات).

لإماطة القناع عن المنجز المحقق -على تواضعه- في حقلي: الاقتصاد والمعاش، والتربية والسلوك، ضمن مقارنة تجعل منهما قطبين متقابلين، يتنازعان سلوك الإنسان بين حدي الدنيا والآخرة، أو المادة والروح، أو ما أثّرنا أن نطلق عليه التسوّق والتخلّق.

1. منجز المدرسة القيمية في الحقلين:

1.1. في حقل الاقتصاد والمعاش:

فضلا عن فصول متفرقة ضمن أبواب كتابه العمران، فقد عقد ابن خلدون الباب الخامس منه بعنوان: "في المعاش³ ووجوهه من الكسب والصنائع، وما يعرض في ذلك كله من الأحوال، وفيه مسائل"⁴، ولم تخرج مسائل الباب عن مشتملات حقل الاقتصاد -بمفهومنا المعاصر- من وجوه الكسب وأصنافه؛ من فلاحه، وتجارة، وصنائع، وما يتصل بذلك من معارف وخبرات. وليس ابن خلدون بدّعا فيمن عُنِيَ بالشأن الاقتصادي في تاريخ الإسلام، كركيزة لها أثرها في قيام الدول واستقرارها وسقوطها، ولو أن التناول اختلف من عصر إلى عصر، ومن جيل إلى جيل⁵.

³- لاحظ بعض الباحثين -بحق- أن استخدام مصطلح "الاقتصاد" لم ينبثق من رحم المنظومة الحضارية العربية الإسلامية، إنما تسرّب إليها جراء تعريب المصطلح الأجنبي (Économie Politique)، مما ترتب عنه الإعراض عن مصطلح "المعاش"، الذي هو الأنسب والأكثر انسجاما مع فضائنا التداولي. يراجع عبد الرزاق بلعباس: "الاقتصاد الإسلامي.. حفرية مصطلح"، مجلة إسلامية المعرفة (الأردن)، ع 78/ خريف 2014، ص 105، 127؛ وعز الدين مالك الطيب محمد: "منهجية بناء علم الاقتصاد الإسلامي.. أهمية المراجعة والتقييم"، مجلة الاقتصاد الإسلامي (جدة)، مج 32، ع 03/ أكتوبر 2019، ص 158.

⁴- ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1995، ص 353.

⁵- يمكن مقارنة إدلاء ابن خلدون في باب المعاش بنظيراتها لدى -على سبيل المثال-: الماوردي (ت 450هـ/1058م)، أو الطرطوشي (ت 520هـ/1126م)، أو المقرئ (ت 845هـ/1441م).

حتى إذا أفضى الأمر إلى عصرنا، احتدم النقاش وتشعب بين الباحثين، فيما إذا كنا بصدد علم في الاقتصاد أم مذهب فيه⁶، وفيما إذا كان ينبغي أن نُطامن من توقعاتنا، فنكتفي بالحديث عن نظام اقتصادي محكوم بشروطه التاريخية⁷، أو يسعنا أن نعلي من سقف فروضنا، فنرفع لوجود نظرية في الاقتصاد الإسلامي، وإن تكن غير واضحة المعالم، فإنه تناط بنا مسؤولية اكتشافها⁸. ومهما يكن من أمر فإن الحد الذي لم يُتخلف عليه هو تحقق الأساس الأخلاقي للاقتصاد الإسلامي⁹.

من منطلق هذه البواعث، واقتناعاً بأهمية البحث في الشأن الاقتصادي، حاولت المدرسة أن تدلي بدلوها في هذا الحقل، الذي يعترف المتخصصون بمحدودية ما كتب فيه؛ وبخاصة ما يتصل بالحقبة الإسلامية الأولى¹⁰. لكن للإنصاف علينا الإقرار بأن إبطاءنا في الالتفات إلى هذا الحقل من حقول اشتغالات المدرسة، ناهيك عن عوامل ذاتية مردها إلى طبيعة اهتمامات القائمين على المشروع، وعوامل موضوعية مدارها

⁶ - حسن سلمان: "قراءة في كتاب «اقتصادنا» لمحمد باقر الصدر"، مجلة الاجتهاد (بيروت)، ع 37/ خريف 1997، ص 262-264.

⁷ - محمد المبارك: نظام الإسلام - الاقتصاد.. مبادئ وقواعد عامة، طهران: منشورات معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي، 1985.

⁸ - أحمد عبد العزيز النجار: المدخل إلى النظرية الاقتصادية في المنهج الإسلامي، ط2، القاهرة: منشورات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، 1980، ص 25.

⁹ - راجع مالك بن نبي: "الأساس الأخلاقي لعملية الإنتاج والتوزيع"، ضمن كتابه: المسلم في عالم الاقتصاد، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، 2000، ص 85-89.

¹⁰ - الفضل شلق: "التاريخ الاقتصادي والفكر الاقتصادي"، مجلة الاجتهاد (بيروت)، ع 34-35/ 1997، ص 6؛ ومحمد الأزرع الغربي: "البحث في التاريخ الاقتصادي العربي.. مقارنة إستوغرافية لدراسة الإسلام الكلاسيكي"، ضمن أعمال ندوة: التاريخ العربي وتاريخ العرب كيف كتب، وكيف يكتب؟.. الإجابات الممكنة، المنعقدة ببيروت، بتاريخ: 22-24 أبريل 2016، تنسيق: وجيه كوثراني، ط1، بيروت: منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017، ص 291.

على طبيعة تكوين الباحثين المنضوين تحت المشروع، كل ذلك كان له أثره في حجم المنجز وقيّمته.

ومع أن مشغل "الغنيمة" كأحد موارد بيت المال في تاريخ الدولة الإسلامية، كان في صلب مقترحاتنا¹¹، لما ظل يثيره تحصيل الغنائم من جدل حول طريقة استيفائها ثم إنفاقها، لدى لفيف من الباحثين ممن لم يروا في اقتصاد الدولة الإسلامية الوسيطية سوى نمط من اقتصاد الحرب أو المغازي¹²، فإن البحث الذي تصدى لمقاربة هذه الحيثية، جاء بعنوان: "الجباية في دولة المرابطين بين ضوابط الشرع وإكراهات الواقع"¹³.

وباستثناء بحث آخر أَسْتَلْهِم من وحي أبحاث سابقة، تخص معاناة ساكنة المدن تحت طائلة الحصار¹⁴، أو وقوعها فريسة للأزمات والكوارث الطبيعية، مما كان له أثر على البنية الديموغرافية للمجتمع¹⁵، وهو ما يمكن أن نقرأ بعض ملامحه في عنوانه الذي أختير له: "الاقتصاد بين

¹¹- من الموضوعات المقترحة غير المنجزة، المتوفرة في رصيد بنك المدرسة: "عثمان بن عفان ؓ حاكم مدينة الرسول ﷺ.. العقيدة، والقبيلة، والغنيمة"؛ و"ترشيد مالية الدولة في مدونة الآداب السلطانية للغرب الإسلامي"؛ و"تجاوزات السلطة الحاكمة في إدارة الشأن المالي في ضوء كتب النوازل والمناقب".

¹²- الحسين بولقطيب: "أسلوب الإنتاج الحربي والتحول المعاق.. حالة المغرب الوسيط"؛ ضمن كتابه: حفريات في تاريخ المغرب الوسيط، ط1، الرباط: جذور للنشر، 2004، ص 107-130؛ وإبراهيم القادري بوتشيش: "نمط اقتصاد المغازي.. هل شكّل أسلوباً للإنتاج في مغرب العصر الوسيط؟"؛ ضمن كتابه: حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، ط1، بيروت: دار الطليعة، 2006، ص 9-30.

¹³- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثة: منال صبودة، جامعة المسيلة، 2017-2018.

¹⁴- عفاف روياش: "مدن تحت الحصار.. صور من المعاناة الإنسانية لساكنة المغرب في العصر الوسيط"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2015-2016.

¹⁵- نسبية غرابي: "انعكاس الأزمات والكوارث الطبيعية بالمغرب الإسلامي على العمران والديموغرافيا"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2015-2016.

الكفاف والجفاف.. تدير المعاش في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين"¹⁶، فقد اكتفت سائر الأبحاث المنجزة الأخرى بطرق موضوعات جزئية كتنظيم الأسواق¹⁷، ومشاكل العملة¹⁸، والحرف والصنائع¹⁹.

عدا أن بحثا ثالثا مختلفا في منحاها، بعنوان: "مبدأ الكسب لدى صوفية الغرب الإسلامي.. جدل التوكل والتسبب"²⁰، هو من حيث فكرته الملهمة يدفع باتجاه فتح أفق صوب فلسفة العمل في الإسلام.

2.1. في حقل التربية والسلوك:

لو أننا تمسكنا حرفيا بمقابلة تقسيمنا للحقول المعرفية، بأبواب كتاب العمران الخلدوني، فإننا لن نُلفي بابا مستقلا مطابقا في مدلوله لحقل التربية والسلوك، كما ألفينا ما يقابل الحقل متقدم الذكر، على أننا لو رجّعنا النظر في تلافيف الأبواب الستة للكتاب لوقفنا على عديد الفصول ذات الصلة بهذا الحقل بدرجة أو أخرى.

¹⁶- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثة: حنان سعيد، جامعة المسيلة، 2021-2022.

¹⁷- وسيلة بن صوشة: "الأسواق المغربية من خلال كتب الحسبة ما بين القرنين (3-5هـ/11-9م)"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2013-2014.

¹⁸- نورة رداوي وسوهة بومعالي: "مشاكل العملة في عصر الموحدين وأثرها على المعاملات المالية"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2020-2021؛ ورقية رويح: "غش العملة في عصر الطوائف بالاندلس"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2021-2022.

¹⁹- ليلى بن لطرش: "الحرف والحرفيون في العهد الحمادي (405-547هـ/1014-1152م)"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2015-2016؛ ونبيل بوهراوة: "الحرف والصنائع في المغرب الأوسط الزباني (633-962هـ/1235-1554م)"، مذكرة ماستر، جامعة باتنة 1، 2016-2017.

²⁰- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثة: خليصة بن كشيدة، جامعة المسيلة، 2019-2020.

فقد تحدث ابن خلدون عن أثر اختلاف أحوال العمران والمناخ في أخلاق البشر²¹، كما عرض للمتصوفة ومن في حكمهم، وما يقع لهم من عجائب الإخبار بالمغيبات²². ثم لما طرق باب البدو والحضر، لفت إلى أن أهل البدو أقرب إلى الخير وإلى الشجاعة من أهل الحضر²³، وقرّر ما يلحق الأمم المغلوبة من التولّع بتقليد الأمم الغالبة عليها²⁴. ولما أجال نظره في شأن الدول، نوّه بما للترف والظلم من أثر في إديارها وخرابها²⁵، ولم يفته أن يلحظ ما يحصل من كسب وارتفاع لأهل الخضوع والملق في مقابل الأباة والمعتزين بمكانتهم أو أوليتهم²⁶، مُعرباً على أن خُلُق التجار نازلة عن خُلُق الأشراف والرؤساء، وبعيدة عن المروءة²⁷. حتى إذا تفسّح بالقول عن العلم والتعلّم²⁸، نجده يحذّر من الأضرار الناجمة عن استخدام الغِلْظة مع ناشئة المتعلمين²⁹، موازناً بين أفضل الأساليب التعليمية في عصره³⁰.

نسوق هذا التقرير بين يدي منجز المدرسة في حقل التربية والسلوك، فإنه وإن استقل هذا الحقل بعدد من الموضوعات التي كان

²¹- ابن خلدون: المقدمة، المقدمتان الرابعة والخامسة من الباب الأول.

²²- المقدمة السادسة من الباب الأول.

²³- الفصلان الرابع والخامس من الباب الثاني.

²⁴- الفصل الثالث والعشرون من الباب الثاني.

²⁵- الفصلان الثالث عشر والثالث والأربعون من الباب الثالث.

²⁶- الفصل السادس من الباب الخامس.

²⁷- الفصلان الحادي عشر والخامس عشر من الباب الخامس.

²⁸- حظي هذا الجانب -تحديداً- من المعطى الخلدوني في حقل التربية والسلوك، باعتناء كثير من الباحثين المعاصرين، الذي كتبوا عنه بغزارة، ومن ذلك -على سبيل المثال-: حسين عبد الله بانيه: ابن خلدون وتراثه التربوي، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1984؛ وعبد الأمير شمس الدين الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرقي، ط1، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، 1990.

²⁹- ابن خلدون: المقدمة، الفصل الأربعون من الباب السادس.

³⁰- الفصلان السابع والثلاثون والتاسع والثلاثون من الباب السادس.

مدارها على القيم الأخلاقية، ومظاهر الانحرافات الاجتماعية والأخلاقية، فضلا عن تداعيات السلوك الزهدي، الذي قد يتحول في عدد من الأحيان إلى نوع انقباض واغتراب، وعزوف عن الحياة الدنيا، إلا أن موضوعات غيرها كثيرة شتى، قد توزعتها حقول أخرى من اشتغالات المدرسة، لكون البعد القيمي هو قدر مشترك بين ميادين وحقول منجز المدرسة القيمية.

1.2.1. القيم الأخلاقية:

مهما يكن المحتوى القيمي مرتبطا في أذهاننا بالنص الصوفي وسير المتصوفة³¹، وهو ارتباط مبرر سيظل محتفظا بوجاهته على أية حال، إلا أن الخبرة التي أضحت تتوفر عليها المدرسة تؤكد أن البحث في القيم متعدد المآخذ والموارد³²، ولا تنفك مقارنة المنظومات القيمية للمجتمعات المدروسة من احتلال مشغل السلوك موقعا متقدما منها، إن تعلق بالكافة أو الخاصة على حد سواء³³.

2.2.1. الآفات الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية:

إن التعرف على القيم الأخلاقية، التي هي بمثابة خلفية تربوية، ومرجعية سلوكية، لهو الطرف الأول من المعادلة، فيما أن الطرف الثاني، هو التحديات القائمة بإزاء هذه القيم، والتي تضعها على المحك، فيما إذا

³¹ نادية بلمزيتي: "دور المتصوفة في نشر القيم الأخلاقية في مجتمع المغرب الأوسط (ق 06هـ/12م)"، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة 2، 2012-2013.

³² وهيبه زرواق: "خطاب القيم في مدونة الآداب بالغرب الإسلامي خلال القرنين 6 و7هـ/12 و13م"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2019-2020.

³³ لخضر بولطيف: "ملاح المنظومة القيمية للمجتمع القلعي الحمادي.. منطلقات الفكر وأنماط السلوك"، مجلة الباحث (الوادي)، ع 02، ديسمبر 2011، ص 123-131؛ وإلهام قاتل: "النخبة العالمية في المغرب الأوسط (ق 7-9هـ/13-15م).. منطلقات الفكر وأنماط السلوك"، رسالة دكتوراه، جامعة المسيلة، 2017-2018.

كانت ستعمل كصمام أمان للمجتمع، أم أن ثمة اختبارات معينة قد تخرج منها خائبة كسيفة.

ولعل من بين أهم اختبارات الحياة التي رامت المدرسة أن تسبر مدى تأثيرها على سلوك الناس، من خلال ما تصدت لإنجازه من أبحاث، هما اختبار الحروب والفتن³⁴، واختبار الدَّعة والترف³⁵، فلا يخفى ما لكليهما من تداعيات وانعكاسات على سلوك الأفراد والجماعات، تأخذ طابع ممارسات متفلّنة من ضوابط القيم الأخلاقية، أو مخالفات شرعية مثيرة للجدل³⁶.

3.2.1. العزوف عن الدنيا والاغتراب عن المجتمع:

إن التصوف الذي لطالما عُد بمثابة منبع للقيم الأخلاقية الناضجة للمجتمع، والذي لعب دورا لا يستهان به في محاربة الآفات الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية³⁷، لا ينبغي أن يندّ عن انتباهنا ما كان له، أو على

³⁴ سامية زراوي وخيرة لزرقي: "الحروب والثورات والفتن وأثرها على سلوك وذهنية إنسان العصر المرابطي (ق 5-6هـ/11-12م)"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2020-2021؛ حسيبة عمروش: "انعكاسات الحروب في السلوك والذهنية لمجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1555م)"، رسالة دكتوراه، جامعة المسيلة، 2017-2018.

³⁵ حدة طيباوي والزهرة ننفاف: "مظاهر الترف في الأندلس خلال عصر الموحدين (ق 6-7هـ/12-13م)"، مذكرة ماستر، 2019-2020؛ وفتيحة جعفري: "الانحرافات الأخلاقية في المغرب الأوسط (ق 10-12هـ/16-12م).." قراءة في الأسباب وجهود الإصلاح"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2019-2020؛ ووليد سعد: "الآفات الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية في المجتمع الأندلسي عصر ملوك الطوائف (422-488هـ/1031-1095م)"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2022-2023.

³⁶ عز الدين بشير: "البدع في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2013-2014؛ وحنان رباح: "السحر في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2013-2014. ومما لا يزال في بنك مقترحات المدرسة: "الخمير موضوعا جدليا في الغرب الإسلامي بين الفقهاء والساسة والعامة"، و"النبذ على موائد القبروانيين في العصر الأغلبي.. هل أباح الأحناف تعاطي المسكر؟".

³⁷ لخضر بولطيف: "التصوف في الغرب الإسلامي محايثا ومفارقا.. الحالة الموحدية أفقا"، مداخلة -عن بعد- ضمن الورشة الدولية الثانية في الفلسفة الإسلامية: التصوف، من تنظيم مركز

الأقل لبعض أشكاله، من دور في تكريس النزعات الزهدية الاغترابية عن المجتمع، والتي أفرزت لنا ظواهر الإعراض بالكلية عن عمارة الدنيا، إعراضا عن التكسب³⁸، وانتشبا في التبطل³⁹.

2. الموارد المستمدة في الأبحاث المنجزة:

إذا كان لهذا المبحث من إضافة قد ينفرد بها، زيادة على ما عبّرت عنه سردية المنجز، ونماذجه الدالة، فهو التنويه بأهم المدونات التراثية التي استرفدها منتسبو المدرسة في رسائلهم وأطاريحهم المرقونة منها والمنشورة، مما يمت بصلة للحقلين محل الدراسة. وحيث أنه من المتعذر علينا أن نسلّك في رصدها مسلك الاستيعاب والاستقصاء، فإننا سنقتصر على عناوين مختارة لأهم تلك النصوص والمدونات، مما كانت تتكرر الإحالة إليه، ولم ينقطع الإيراد عليه.

2.1. في حقل الاقتصاد والمعاش:

2.1.1. كتب الفلاحة:

- ابن حَجَّاج (حي سنة 466هـ): المقنع في الفلاحة.
- ابن وافي (ت 477هـ): المجموع في الفلاحة.
- ابن بَصَّال (ت 499هـ): كتاب الفلاحة.
- أبو الخير الإشبيلي (ق 05هـ): كتاب في الفلاحة.

روافد للدراسات والأبحاث في حضارة المغرب وتراث المتوسط، القنيطرة، المغرب، بتاريخ: 01-2021/05/04، مسجلة في موقع المركز، على الرابط:

<https://www.facebook.com/centrerawafed/videos/304198327771915>

³⁸- بحث: "مبدأ الكسب لدى صوفية الغرب الإسلامي.. جدل التوكل والتسبب"، تقدمت الإحالة عليه في المطلب الثاني من هذا المبحث.

³⁹- في بنك مقترحات المدرسة: "ظاهرة الاستعفاء من الوظائف الإدارية في تاريخ الغرب الإسلامي"، و"أمراء زاهدون في تاريخ الغرب الإسلامي.. من الصولجان والطيلسان إلى الركوة والمركعة".

- ابن العَوَّام (ق 06هـ): كتاب الفلاحة.
- ابن يُيُون التُّجَيْبِي (ت 750هـ): إبداء المَلاحة وإنهاء الرِجاجة في أصول صناعة الفلاحة.

2.1.2. كتب الخراج:

- أبو يوسف (ت 182هـ): كتاب الخراج.
- يحيى بن آدم (ت 203هـ): الخراج.
- جعفر بن قدامة (ت 328هـ): الخراج وصناعة الكتابة.
- ابن رجب (ت 795هـ): الاستخراج لأحكام الخراج.
- الكركي (ت 940هـ): قاطعة اللجاج في تحقيق حل الخراج.

3.1.2. كتب الوقف:

- ابن قاضي الجبل (ت 771هـ): المناقلة والاستبدال بالأوقاف.
- الحطَّاب (ت 995هـ): رسالة في حكم بيع الأعباس.

4.1.2. كتب التجارة:

- الشيباني (ت 189هـ): كتاب الكسب.
- المُحَاسِبِي (ت 243هـ): المكاسب والورع والشبهة.
- الجاحظ (ت 255هـ): التبصر بالتجارة للجاحظ.
- الخلال (ت 311هـ): الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدعي التوكل في ترك العمل.
- الحكيم الترمذي (ت 320هـ): بيان الكسب.
- السَّرْخُوسِي (ت 490هـ): شرح كتاب الكسب للشيباني.
- الدمشقي (حي 570هـ): الإشارة إلى محاسن التجارة.
- الحُبَيْشِي (ت 782هـ): البركة في فضل السعي والحركة.
- ابن اللبودي (ق 09هـ): فضل الاكتساب وأحكام الكسب وآداب المعيشة.

- السيوطي (ت 911هـ): حصول الرفق بأصول الرزق.

5.1.2. كتب الأموال:

- أبو عُبَيْد (ت 234هـ): كتاب الأموال.
- ابن زَنْجَوِيَه (ت 251هـ): كتاب الأموال.
- الداودي (ت 402هـ): كتاب الأموال.
- ابن تيمية (ت 728هـ): قاعدة في الأموال السلطانية.
- ابن سودة (ت 1209هـ): كشف الحال عن الوجوه التي ينتظم منها بيت المال.

6.1.2. كتب النقود والمكايل والموازن:

- العزَفي (ت 633هـ): إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمُد.
- ابن بَغْرَة (ت 633هـ): كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية.
- ابن يوسف الحكيم (حي 770هـ): الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة.
- المقْرِيزي (ت 845هـ): النقود الإسلامية.
- المُنَاوي (ت 1031هـ): النقود والمكايل والموازن.

7.1.2. كتب الحسبة:

- يحيى بن عمر (ت 289هـ): النظر والأحكام في جميع أحوال السوق.
- ابن عبد الرؤوف (ت 424هـ): رسالة في آداب الحسبة والمحتسب.
- ابن عُبْدُون (ق 06هـ): رسالة في القضاء والحسبة.
- السَّقَطِي (حي سنة 610هـ): في آداب الحسبة.
- ابن الخطيب (ت 776هـ): مثلى الطريقة في ذم الوثيقة.

- العُقْبَانِي (ت 871هـ): تحفة الناظر وغُنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر.

- المجلّدي (ت 1094هـ): التيسير في أحكام التسعير.

- الجرّسيفي (ت 1279هـ؟): رسالة في الحسبة.

2.2. في حقل التربية والسلوك:

- الزبير بن بَكَار (ت 256هـ): الفكاهة والمزاح.

- محمد بن سحنون (ت 256هـ): آداب المعلمين.

- ابن الداية (ت 340هـ؟): المكافأة وحسن العقبي.

- القابسي (ت 406هـ): الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين.

- مسكويه (ت 421هـ): تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق.

- الكلاعي (ت 634هـ): جهد النصيح وحظ المنيح.

- النووي (ت 676هـ): آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي وفضل طلب العلم.

- النووي (ت 676هـ): التبيان في آداب حملة القرآن.

- ابن الحاج (ت 727هـ): المدخل.

- ابن خلدون (ت 808هـ): المقدمة.

- المغرواي (ت 898هـ): جامع جوامع الاختصار والتبيان، فيما يعرض بين المعلمين وأباء الصبيان.

- ابن القيم (ت 751هـ): الكلام على مسألة السماع.

3. جدل الأسواق والأخلاق.. مقاربات متجاسرة:

على الرغم من أنه عَقِيَ الزمن على عهد كان يُنظر فيه إلى الربط بين الأخلاق والاقتصاد كنوع من التعلّق بالطوبى، التي لا مكان لها خارج أدبيات

مدينة الفيلسوف الفاضلة، إلا أن البعض قد لا يزال يرى في هذه العلاقة "مسألة يشوبها الغموض"⁴⁰، ولو أن مرادهم -مع ذلك- ليس نفي العلاقة نفسها بقدر لفت النظر إلى الإشكالات الواردة عليها.

وفيما عدا ذلك فقد تضافرت آراء الباحثين على ارتباط المفاهيم الاقتصادية الإسلامية بحمولة أخلاقية كامنة فيها⁴¹، في رفض صريح للتمييز بين القيم الاقتصادية والقيم الأخلاقية⁴²، بحيث نجد أن التشريعات الفقهية المستمدة من نصوص الوحي في الإسلام، قد قيّدت حركة الاقتصاد بالقيم الأخلاقية، وبالثواب الرباني⁴³، ذلك أن المعاملات المالية الاقتصادية المطبوعة بالمكايسة والمساومة، وفيما يتطلع كل طرف في إبرام عقد مع غيره، لتحصيل المنفعة لصالحه، فإن ذلك يستلزم استحضار أخلاق المسامحة والإيثار فضلا عن الصدق والأمانة والوفاء، لدفع كل خصام محتمل بين المتعاقدين⁴⁴.

وهو ما يخوّل القول إن قانون السلوك الذي يملك أكثر فعالية في التنمية الاقتصادية للمجتمعات، هو ذلك القانون الذي يُتلقى من قبل المتعاملين بالقبول والإذعان، عن رضا وطواعية، لا لشيء سوى لاستناده

⁴⁰- رفعت السيد العوضي: الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، ط1، القاهرة: دار الكلمة، 2021، ص6.

⁴¹- عمر الكتاني: "الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي في الخطاب القرآني"؛ ضمن أعمال ندوة: سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر، المنعقدة بالدار البيضاء، المغرب، بتاريخ: 25-27 ماي 2011، تنسيق: عبد السلام طويل، ط1، الرباط: منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، 2012، ص286.

⁴²- عبد الوهاب بوحدية: "الكسب في الإسلام"؛ ضمن كتابه: لأفهم.. فصول عن المجتمع والدين، تونس: الدار التونسية للنشر، 1992، ص179.

⁴³- حسن محمد أحمد محمد: الاقتصاد الإسلامي وأثره في ترسيخ مفاهيم وقيم العدالة الاجتماعية، ط1، فاس: منشورات مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات "مفاد"، 2022، ص12.

⁴⁴- صالح حميد العلي: معالم الاقتصاد الإسلامي.. دراسة تأصيلية لموضوعات الاقتصاد الإسلامي ومبادئه وخصائصه، بيروت: دار اليمامة، 2006، ص33.

إلى مصدر متعال إلهي، ومن شأن ذلك أن يمارس تأثيره في الحد من اللجوء إلى الطرق الخفية الملتوية للكسب غير المشروع، على خلفية استحضر الرقابة الذاتية، وهو ما ليس متأتّ بحال، بمعزل عن ذلك، للسلطات القائمة على تطبيق القانون⁴⁵.

إن هذا الملحظ الأساس، في الارتباط العضوي بين قانون الأخلاق وقانون الأسواق، في المنظومة القيمية للمجتمع الإسلامي، لا تكاد تخطئه العين في مباحث المدونات الاقتصادية التراثية في تاريخ الحضارة الإسلامية⁴⁶، وهو ما أسس لخلفية فكرية تصورية لكثير من المؤلفات المعاصرة⁴⁷، التي تصدت للكشف عن الارتباط الوثيق بين القيم الأخلاقية

⁴⁵- محمد عمر شابرا: مستقبل علم الاقتصاد من منظور إسلامي، ترجمة: رفيق يونس المصري، ط2، دمشق: دار الفكر، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2005، ص201، 202.

⁴⁶- سجّل أحد الباحثين مقدر اعتناء أحمد بن نصر الداودي (ت 402هـ/1011م) بإبراز الجوانب الأخلاقية في كل مسألة تناولها في كتابه "الأموال"، ما حدا بالباحث لإفراد فصل مستقل لأخلاقيات النظام الاقتصادي والمالي عند الداودي. يراجع محمد ذياب: "الفكر الاقتصادي عند أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي.. دراسة تحليلية لكتابه الأموال"، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة، 2006-2007، ص210، 216.

⁴⁷- يمكن التمثيل من بينها بـ أحمد يوسف: القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادي، القاهرة: دار الثقافة، 1990؛ وزيد بن محمد الرماني: "الأسس الأخلاقية للمعاملات الاقتصادية"، مجلة الوعي الإسلامي (الكويت)، ع422/جانفي 2001، ص54-55؛ والسيد عطية عبد الواحد: "القيم الأخلاقية في السياسة المالية الإسلامية.. نموذج للإعجاز القرآني والنبوي في المجالين الاقتصادي والمالي"، ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المنعقد بالكويت، بتاريخ: 26-29 نوفمبر 2006، الكويت: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مكة المكرمة: منشورات رابطة العالم الإسلامي، 2007، 3/191-214؛ ومحمد عمر شابرا: "الأخلاق والاقتصاد بين الإسلام والعالم الغربي"، ترجمة: هبة الباشا، ضمن كتاب مشترك: الاقتصاد والأخلاق، لمحمد عمر شابرا وفولكر نيهاموس، ط1، دمشق: دار الفكر، 2011، ص11-65؛ وإبراهيم يوسف القرعاني: "القيم الأخلاقية أساس البنیان الاقتصادي"، جريدة الاقتصادية (إلكترونية)، بتاريخ: 22 مارس 2011، على الرابط:

والسلوك الاقتصادي في الإسلام؛ بما يستوعب مجالات الإنتاج، والاستهلاك، والتداول، والتوزيع⁴⁸.

ومن الطريف في الأمر أن يطالعنا الإقرار بحقيقة اتصال الاقتصاد بالأخلاق من خارج الدائرة الإسلامية، على غرار ما قرّره ماكس فيبر (1864-1920م) في كتابه "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية"⁴⁹، أو ما ذهب إليه باحثون غربيون آخرون من تبني دعوى "أن علم الاقتصاد يحتاج إلى حد بعيد لأن يعيد اكتشاف الأخلاق"⁵⁰، أو ما يتعيّن على علم الاقتصاد الجديد من التسليم به من "أن الكائنات البشرية كائنات أخلاقية"⁵¹. إنه ما يمنح الواجهة لقراءة محاكمة ترى في الفكر الاقتصادي عبر التاريخ البشري منتوجا شبه وعظي أو لكأنه الوعاظ مطبقة على نسق الإنتاج والإنفاق وتوزيع العمل، أو بعبارة أخرى أنه "تربويات وتدير أمثلي للقوت والحاجات، تربويات مطبقة على الظاهرة الاقتصادية"⁵².

⁴⁸- مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، ص85-89؛ ويوسف القرضاوي: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، القاهرة: مكتبة وهبة، 1995، ص125-414.

⁴⁹- ترجمة: محمد علي مقلد، ط1، بيروت: منشورات مركز الإنماء القومي، 1990.

²- Cristovam Buarques: *The end of economics?.. Ethics and the disorder of progress*, translated by: Mark Ridd, London: Zed Books, 1993, p.12.

³- James Robertson: *Future wealth.. A new economics for the 21st century*, London: Cassell Publishers Limited, 1990, p.28.

⁵²- علي زيعور: "قطاع الاقتصاديات داخل العقل العملية في الفلسفة الإسلامية"، مجلة الاجتهاد (بيروت)، ع 34-35/1997، ص267.

الخاتمة:

يعد مشروع المدرسة القيمية في كتابة التاريخ، واحدا من مشاريع البحث والتكوين، الواعدة في الجامعة الجزائرية، وعلى ما راكمه المشروع خلال أكثر من عقد من الزمن، من منجز علمي، يحصي في رصيده عشرات الأبحاث والدراسات المنشورة منها والمرفقونة، فإنه وككل مشروع تأسيسي واقع بين حدي إكراهات التاريخ وأسيجة الجغرافيا، يحاول أن يمضي قدما في تأكيد وجوده، ومحاولة الظفر بفرصة الذبوع خارج حدوده، وهو في ذلك يصدر عن قناعة أن النجاح مرتين باختبار ما لديك من مدعيات خارج قواعذك وأكنافك، حيث لا مجال للتقريب والمجاملات.

لقد سمح لنا الفحص على منجز المدرسة القيمية في حقلي: الاقتصاد والمعيش، والتربية والسلوك، من زاوية القضايا المتناولة، والموارد المستمدة، والمقاربات المعتمدة، بالتعرف على موقع هذين الحقلين من بين خمسة حقول معرفية ضمن السياق الاستكشافي، هذا السياق الذي لا ينفك عن نظيره الاستشكالي بحقوله الخمسة أيضا، وما من ريب في أن جريان أيما بحث منجز في أحد السياقين يجعله على تماس مع السياق الآخر بنسبة أو أخرى، مما يضيفي على أبحاث المدرسة زحما خاصا، وهو ما حاولت هذه الورقة إمطة اللثام عنه، لتضع عينة من المشروع على محك الاختبار والنقد والتمحيص.

- لائحة المصادر والمراجع:

- محركات باللغة العربية:

1- كتب:

- بانبيله، حسين عبد الله: ابن خلدون وتراثه التربوي، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1984.

- بوتشيش، إبراهيم القادري: "نمط اقتصاد المغازي.. هل شكّل أسلوباً للإنتاج في مغرب العصر الوسيط؟"؛ ضمن كتابه: حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، ط1، بيروت: دار الطليعة، 2006، ص9-30.
- بوحديبة، عبد الوهاب: "الكسب في الإسلام"؛ ضمن كتابه: لأفهم.. فصول عن المجتمع والدين، تونس: الدار التونسية للنشر، 1992، ص173-192.
- بولقطيب، الحسين: "أسلوب الإنتاج الحربي والتحول المعاق.. حالة المغرب الوسيط"؛ ضمن كتابه: حفريات في تاريخ المغرب الوسيط، ط1، الرباط: جذور للنشر، 2004، ص107-130.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1995.
- شمس الدين، عبد الأمير: الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرقي، ط1، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، 1990.
- العلي، صالح حميد: معالم الاقتصاد الإسلامي.. دراسة تأصيلية لموضوعات الاقتصاد الإسلامي ومبادئه وخصائصه، بيروت: دار اليمامة، 2006.
- العوضي، رفعت السيد: الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، ط1، القاهرة: دار الكلمة، 2021.
- القرضاوي، يوسف: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، القاهرة: مكتبة وهبة، 1995.
- المبارك، محمد: نظام الإسلام - الاقتصاد.. مبادئ وقواعد عامة، طهران: منشورات معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي، 1985.

- محمد، حسن محمد أحمد: الاقتصاد الإسلامي وأثره في ترسيخ مفاهيم وقيم العدالة الاجتماعية، ط1، فاس: منشورات مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات "مفاد"، 2022.
- بن نبي، مالك: "الأساس الأخلاقي لعمليتي الإنتاج والتوزيع"؛ ضمن كتابه: المسلم في عالم الاقتصاد، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، 2000، ص85-89.
- النجار، أحمد عبد العزيز: المدخل إلى النظرية الاقتصادية في المنهج الإسلامي، ط2، القاهرة: منشورات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، 1980.
- يوسف، أحمد: القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادي، القاهرة: دار الثقافة، 1990.

2- دوريات:

- بلعباس، عبد الرزاق: "الاقتصاد الإسلامي.. حفرية مصطلح"، مجلة إسلامية المعرفة (الأردن)، ع 78/ خريف 2014، ص105-132.
- بولطيف، لخضر: "ملامح المنظومة القيمية للمجتمع القلعي الحمادي.. منطلقات الفكر وأنماط السلوك"، مجلة الباحث (الوادي)، ع02، ديسمبر 2011، ص123-131.
- الرماني، زيد بن محمد: "الأسس الأخلاقية للمعاملات الاقتصادية"، مجلة الوعي الإسلامي (الكويت)، ع422/ جانفي 2001، ص54-55.
- زيعور، علي: "قطاع الاقتصاديات داخل العقل العملية في الفلسفة الإسلامية"، مجلة الاجتهاد (بيروت)، ع 34-35/ 1997، ص233-273.
- سلمان، حسن: "قراءة في كتاب «اقتصادنا» لمحمد باقر الصدر"، مجلة الاجتهاد (بيروت)، ع 37/ خريف 1997، ص253-282.

- شلق، الفضل: "التاريخ الاقتصادي والفكر الاقتصادي"، مجلة الاجتماع (بيروت)، ع 34-35/1997، ص 5-7.

- القرعاني، إبراهيم يوسف: "القيم الأخلاقية أساس البنيان الاقتصادي"، جريدة الاقتصادية (إلكترونية)، بتاريخ: 22 مارس 2011، على الرابط:

https://www.aleqt.com/2011/03/22/article_517755.html

- محمد، عز الدين مالك الطيب: "منهجية بناء علم الاقتصاد الإسلامي.. أهمية المراجعة والتقويم"، مجلة الاقتصاد الإسلامي (جدة)، مج 32، ع 03/أكتوبر 2019، ص 151-159.

3-ندوات:

- بولطيف، لخضر: "التصوف في الغرب الإسلامي محايثا ومفارقا.. الحالة الموحدية أفقا"، مداخلة -عن بعد- ضمن الورشة الدولية الثانية في الفلسفة الإسلامية: التصوف، من تنظيم مركز روافد للدراسات والأبحاث في حضارة المغرب وتراث المتوسط، القنيطرة، المغرب، بتاريخ: 01-04/05/2021، مسجلة في موقع المركز، على الرابط:

<https://www.facebook.com/centrerawafed/videos/304198327771915>

- عبد الواحد، السيد عطية: "القيم الأخلاقية في السياسة المالية الإسلامية.. نموذج للإعجاز القرآني والنبوي في المجالين الاقتصادي والمالي"، ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المنعقد بالكويت، بتاريخ: 26-29 نوفمبر 2006، الكويت: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مكة المكرمة: منشورات رابطة العالم الإسلامي، 2007، 3/191-214.

- الغربي، محمد الأزهر: "البحث في التاريخ الاقتصادي العربي.. مقارنة إستوغرافية لدراسة الإسلام الكلاسيكي"; ضمن أعمال ندوة: التاريخ العربي وتاريخ العرب كيف كتب، وكيف يكتب؟.. الإجابات الممكنة، المنعقدة ببירות، بتاريخ: 22-24 أبريل 2016، تنسيق: وجيه كوثراني، ط1، بيروت: منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017، ص263-293.

- الكتاني، عمر: "الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي في الخطاب القرآني"; ضمن أعمال ندوة: سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر، المنعقدة بالدار البيضاء، المغرب، بتاريخ: 25-27 ماي 2011، تنسيق: عبد السلام طويل، ط1، الرباط: منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، 2012، ص286-300.

4-رسائل:

- بلمزيتي، نادية: "دور المتصوفة في نشر القيم الأخلاقية في مجتمع المغرب الأوسط (ق 06هـ/12م)", رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة2، 2012-2013.

- ذياب، محمد: "الفكر الاقتصادي عند أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي.. دراسة تحليلية لكتابه الأموال"، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة، 2006-2007.

- عمروش، حسيبة: "انعكاسات الحروب في السلوك والذهنية لمجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1555م)", رسالة دكتوراه، جامعة المسيلة، 2017-2018.

- قاتل، إلهام: "النخبة العالمية في المغرب الأوسط (ق 7-9هـ/13-15م).. منطلقات الفكر وأنماط السلوك"، رسالة دكتوراه، جامعة المسيلة، 2017-2018.

II- محررات باللغة الأجنبية:

- شابرا، محمد عمر: "الأخلاق والاقتصاد بين الإسلام والعالم الغربي"، ترجمة: هبة الباشا، ضمن كتاب مشترك: الاقتصاد والأخلاق، لمحمد عمر شابرا وفولكر نينهافوس، ط1، دمشق: دار الفكر، 2011، ص11-65.
- شابرا، محمد عمر: مستقبل علم الاقتصاد من منظور إسلامي، ترجمة: رفيق يونس المصري، ط2، دمشق: دار الفكر، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2005.
- فيبر، ماكس: الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ترجمة: محمد علي مقلد، ط1، بيروت: منشورات مركز الإنماء القومي، 1990.
- Buarques, Cristovam: *The end of economics?.. Ethics and the disorder of progress*, translated by: Mark Ridd, London: Zed Books, 1993.
- Robertson, James: *Future wealth.. A new economics for the 21st century*, London: Cassell Publishers Limited, 1990.